وقائع المؤتمر العلمي الدولي الافتراضي الثاني للعلوم الاجتماعية لقسما التاريخ والجغرافيا والموسوم بـ (التبادل المعرفي عنوان الارتقاء الحضاري مشرقا ومغربا
المنعقد للفترة (8-9 / 11/ 2022)
وتحت شعار (العلوم الاجتماعية أيقونة المعرفة الإنسانية)

خطاب الأنبياء مع أقوامهم في القرآن الكريم

ا.د. أسماء عواد عطية الدوري
الجامعة المستنصرية- كلية التربية الأساسية- قسم التاريخ
Asmaaldore283@gmail.com
07901227204

مستخلص البحث:
جاءت فكرة البحث لتركز على سمو خطاب الأنبياء لأقوامهم مع أنه يعارض من قبلهم بالرد والأذى للأنبياء ومتبعيهم، فأردنا تسليط الضوء على جزء من خطابات الاعتدال من خلال عرض نماذج حية لصور واقعية تتمثل بدعوة الأنبياء والرسل لأقوامهم الضالين عن الحق وفق منهج الهداية الذي ارتضاه الله لخلقه، ومع هذا التيه والضلال الصادر من أقوامهم ومع التعنت وممارسة شتى أساليب القمع والوحشية في حق أنبيائهم إلا أنهم كانوا مأمورين بلين القول والحكمة والموعظة الحسنة فكانت أساليب دعواتهم متحدة مضمونا، مختلفة تشريعا، للوصول إلى هدف الاعتدال في خطاب الأنبياء لأقوامهم. ان الله تعالى لم يقص لنا هذه القصص عبثا، وإنما من اجل اخذ العبرة منها، من هنا يجب تحقيق الاقتداء الكامل والتخلق بأخلاق الأنبياء عليهم السلام في انتهاج الخطاب المعتدل حتى مع المخالفين في المنهج، لأن ما لا يمكن تحقيقه بالقوة يمكن أن نحققه بأسلوب اللين والخطاب المعتدل، وليكن المنهج النبوي في الخطاب هو الطريق الذي نسير عليه في كل تعاملاتنا سواء مع المتفقين أو المخالفين لنا في الفكر والمنهج.
الكلمات المفتاحية: خطاب ، أنبياء ، أقوام ، القران الكريم.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:
الحمد لله الذي انزل القران الكريم بالحق خطاباً للعالمين، ونوراً يستضاء به الى يوم الدين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود ، واللواء المعقود ، وعلى آلة الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .
أما بعد:
يبحث هذا الموضوع في الطريقة التي يتوجه بها الأنبياء عليهم السلام في خطاب أقوامهم وكيفية الحوار الذي ينشأ نتيجة لهذا الخطاب، ويتابع البحث الأساليب التي يتبعها النبي لإيصال رسالة السماء . ومن الطبيعي أن يختلف أسلوب كل نبي عن الآخر تبعاً للمستوى الفكري والعلمي والاستعداد لدى قومه ودرجة تطورهم واستقبالهم الرسالة، وبشكل عام فإن الأنبياء توجهوا إلى قومهم بالحوار ونهيهم عن الطريق غير المستقيم وقدموا الأدلة تلو الأدلة كي يقنعوهم بالطريق القويم الذي أراده الله تبارك وتعالى لعباده. فضلاً عن أن الأنبياء من أصحاب الرسالات السماوية والكتب التي نزلت عليهم أو الصحف يختلفون في توجيه أقوامهم عن الأنبياء الذين لم يحملوا كتباً منزلة أو صحفاً .
ولكن المنهج يبقى واحداً قد صدر من الله سبحانه وتعالى، لا يتغير بتغير الزمن، وكانوا يتبعون الحكمة والموعظة الحسنة لهم، من أجل الرجوع إلى طريق الحق . ونجد خطاب الأنبياء يختلف من قوم إلى آخر حسب مستوياتهم الفكرية والمعاشية، وكل الأنبياء باستثناء رسول الله صلى الله عليه وآلة وسلم يتشابهون من قبيل بعثتهم إلى أقوامهم ، ولكن النبي الكريم بعث إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، فضلاً

عن أن رسالته خاتمة الديانات وأن لا نبي بعده. لذلك نرى النبي الكريم خاطب الناس بأصناف الخطاب وكان يعلم أن رسالته هي خاتمة الرسالات وأنها ديانة تشريع فمن الطبيعي أن يختلف الخطاب. وإن الأنبياء عليهم السلام لم يملوا من دعوة أقوامهم إلى هذا الطريق ولم ينتابهم الضجر أو التعالي ، وبذلوا كل شيء من أجل أن ينجحوا بمهمة الرسالة والنهوض بأعباء النبوة، فلا يثوروا، ولا يغضبوا عندما تفاجئهم الشتائم، أو تلاحقهم التهم، بل يتحدى ذلك بهدوء الرسالة، بخطوات متزنة ثابتة، لا تنحرف ولا تزيغ، وإنما تنطلق لتوجه ولتنصح ، إخلاصاً لصفة الرسالة وانسجاماً مع روح التبليغ، وفضلاً عن هذا أنهم كانوا لا يطلبون أجراً على هداية أقوامهم أو إبلاغ الرسالة.

ولتغطية الموضوع، فقد تم تقسيم الدراسة إلى أربعة مباحث، تناولنا في **المبحث الأول** من هذه الدراسة موضوع خطاب النبي نوح (عليه السلام) مع قومه في قصص القران.

أما **المبحث الثاني** فقد تناولنا فيه موضوع الخطاب الذي سجله لنا النبي هود (عليه السلام) مع قومه في سرد قصصي تاريخي غاية في البلاغة والأعجاز البياني والأخلاقي.

والمبحث الثالث فقد جمعنا فيه آيات الخطاب في القران الكريم للنبي صالح (عليه السلام) مع قومه في قصص القران.

وقد أنهينا الدراسة بمبحث رابع تطرقنا فيه إلى الآيات القرآنية الخاصة بخطاب النبي إبراهيم (عليه السلام) مع قومه.

ثم خاتمة مع فهرست للمصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في كتابة هذا البحث، وقد كان القرآن الكريم كنص كامل هو المعين الذي اعتمدنا عليه في اقتباس العديد من الآيات القرآنية التي حددت لنا مجالات الحوار في القران الكريم.

المبحث الأول: خطاب النبي نوح (عليه السلام) مع قومه في القران الكريم.

شاءت رحمة الله بخلقه، أن يبعث فيهم رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناسِ على الله حجّة بعد الرسل، ومن عدله – سبحانه وتعالى – أن قرر مبدأ عادلاً: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1]، وكل رسول بعث في قومه خصه برسالة تتناسب وظروف العصر الذي بعث فيه، مؤيداً بنصر الله وتوفيقه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[2]. ومن رحمته – سبحانه وتعالى - أنه أرسل الرسل من جنس أقوامهم ليتفاهما معهم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[3]، وقد أيدهم بالمعجزات والآيات التي تدل على صدق رسالاتهم، وبطلان عقائد أقوامهم التي أغرقتهم في الضلال وهم لا يطلبون أجراً، وهدفهم الإصلاح ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً[4]. وأهم شيء دعوا إليه هو توحيد الخالق – جل علاه - وهو أساس العقيدة، ثم ختمت الرسالات برسالة سيدنا محمد(ﷺ) فكانت رسالته عامة للناس كافة، بشيراً ونذيراً مؤمناً بالرسالات السابقة التي حملها المرسلون من قبله، أي أن الرسل السابقين ساهموا في تشييد مكارم الأخلاق، وأتى النبي (ﷺ) وتمم آخر لبنة في هذا الصرح[5]. وتكاد تكون الموضوعات واحدة، من حيث إن عقيدة الرسل واحدة، وهدف كل رسول تبليغ دعوة الله إلى خلقه، ولا يتم ذلك ولا يرسل رسول ما إلا بقدر ما تدعو الحاجة الملحة له، وكل رسول عليه أن يقوم بهذه المهمة الخطيرة ولا يقبل عليها أجراً، لأنه يحمل أمانة إليهم[6]. وقد قص الله تعالى في كثير من سور القرآن

الكريم، خطاب نوح (عليه السلام) مع قومه، فقال: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ * قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ * وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [7].

لقد أرسل الله تعالى نوحاً (عليه السلام) إلى قومه بلسانهم، تأليفاً للقلوب التي لم تفسد فطرتها، وتيسيراً للبشر إلى التفاهم والتعارف. لقد أرسل الله تعالى نوحاً (عليه السلام) مخاطباً بتلك الكلمة التي جاء بها كل رسول إلى قومه: ﴿ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [8].

لقد ذكر نوح (عليه السلام) هذه الآية وأنذر قومه عاقبة التكذيب بها، في إشفاق النبي الناصح لإخوانه، وفي صدق الرائد الناصح لأهله، وكان الواجب أن يستجيبوا لما دعاهم إليه، ولكن القوم ردوا عليه بأسلوب ينم على الكبرياء والغطرسة، ويفيض بالاستهزاء، ويتهم نوحاً (عليه السلام) ومن اتبعه بالكذب والزور[9]، وكان رد نوح (عليه السلام) على هذه البذاءة وتلك الكبرياء: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ [10].

وفي حوار آخر بين النبي نوح (عليه السلام) وقومه وهو يجادلهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ولكنهم لا يفقهون ولا يتعظون، بل يتمادون في فحش القول ساخرين من النبي (عليه السلام) الذي أصبح غريباً بين قومه. قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ * قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ * قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ * فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [11]. هذا ما حكاه القرآن الكريم عن موقف النبي نوح (عليه السلام) مع قومه، وعن أسلوبه الوديع المتسامح، الذي يصور طبيعة مهمته ونوعية رسالته التي تقوم على الخير والعدل الإلهي، وتعرض دوره كناصح مشفق يخاف عليهم العذاب والضلال.

فقرر النبي نوح (عليه السلام) أن يستمر في خطابهم رغم ما لقي من هؤلاء المعادين من سفاهة وسوء أدب، وأكدت آيات من سورة هود قصة هذا الحوار بين النبي نوح(عليه السلام) وقومه، وفق بساطة لغة الحوار، ومحاولة التقرب إلى مشاعر القوم بتكرير قوله:(يا قوم)، كما يحكي القرآن الكريم ذلك: ﴿يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾[12]، ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾[13]، ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡ﴾[14]. واستمر يدعوهم ليلاً ونهاراً، سراً وجهراً، ويضرب لهم الأمثال ويشرح لهم الآيات وهو مستمر يبين لهم قدرة الله، أملا منه بأنهم سيعودون إلى رشدهم، إلا أنهم تمادوا في غيهم وسلكوا طريق الضلال، ولم تنفع معهم كل الوسائل المتبعة. ويكفي مثالاً واحداً من أن النبي نوح عليه السلام – وهو من أولي العزم من الرسل - بقي يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً. ورغم طول هذه المدة، فما آمن به إلا القليل منهم، فعرف نوح (عليه السلام) أن القلوب القاسية لن تلين، عند ذلك:﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ * فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ * فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾[15]. فاجتمع على القوم خطاياهم وكفرهم وفجورهم ودعوة نبيهم عليهم، وعند ذلك أمره الله أن يصنع الفلك، وأعلمه أنه قد جاء أمره، وحل بهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين، وأنه لا يعاوده فيهم ولا يراجعه فإنه قد تدركه رقة على قومه عند معاينة العذاب النازل بهم[16] ، فإنه ليس الخبر كالمعاينة، ولهذا قال له: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾[17].

إن قصة نبي الله نوح (عليه السلام) من أغرب القصص التاريخية، وهي تؤكد الصراع الإنساني من أجل الإيمان، حيث انتصر الحق على الباطل: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾[18].

المبحث الثاني: خطاب النبي هود (عليه السلام) مع قومه في القران الكريم.

جاء هود ليجدد دعوة أخيه نوح (عليهما السلام)، ويدعو قومه إلى عبادة الله وحده برسالة شأنها شأن كل رسالة سماوية، قائمة على عنصري الهدم والبناء، هدم عقيدة الشرك بكل مظاهره، وبناء عقيدة التوحيد:﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ﴾[19]. ورغم ما يقدمه هود (عليه السلام) من ضمانات الإيمان بالله، ونتائج هذا الإيمان إلا أن رد قومه كان كرد أسلافهم: ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ * إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۖ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾[20].

وواضح من الخطاب هنا أن المحور هو الدعوة لله، ولكنهم يأخذون على هود ما يدفعهم إلى رفض هذه الدعوة، ويأخذون عليه أنه لم يأتهم ببينة، وأنهم لن يتركوا آلهتهم التي يدعوهم لتركها، وأنهم لن يؤمنوا به[21]. ولقد كان قوم النبي هود (عليه السلام) وهم قوم (عاد) جفاة كافرين متمرسين بعبادة الأصنام، أرسل الله إليهم أخاهم هوداً يدعوهم لعبادة الله وحده، ناهياً لهم عن عبادة الأوثان التي اقترفوها واختلقوا لها الأسماء، ورغبهم في طاعة الله واستغفاره، ووعدهم عن ذلك خيري الدنيا والآخرة، وتوعدهم على مخالفتهم ذلك عقوبة الدنيا والآخرة وكان رد قومه إن الأمر الذي تدعونا إليه، والذي جاء على لسان قومه هو سفه بالنسبة إلى ما نحن عليه من عبادة هذه الأصنام، ومع هذا

نظن أنك كاذب في دعواك، هكذا كانت إجابة القوم متناسين أن أخاهم هوداً في غاية النصح لهم والشفقة عليهم، والحرص على هداتهم، كما أخبرهم أنه لا يريد منهم أجراً على هذا النصح والبلاغ من الله، إنما يبغي ثوابه من الله العلي القدير، لقد خاطب هود قومه إزاحة للتهمة وتمحيصاً للنصيحة، ولما تبين له أنهم لا تنفع معهم كل النصائح تخلى عنهم [22]. لقد وقف هود (عليه السلام) هذه الوقفة، لأنه يجد حقيقة ربه في نفسه إن أصحاب الدعوة إلى الله، لابد أن يجدوا حقيقة ربهم في نفوسهم على هذا النحو حتى يتمكنوا أن يصمدوا بإيمانهم الراسخ في استعلاء أمام القوى الجاهلة العاتية الطاغية، أمام القوة المادية، وقوة الصناعة، وقوة المال، وقوة العلم، وقوة الأنظمة والأجهزة والتجارب والخبرات، وهذه هي سمات وأصول حوار القرآن الكريم، لأن من يلتمس حجة غيره فقد ضل.[23]

المبحث الثالث: خطاب النبي صالح (عليه السلام) مع قومه في القران الكريم .

جاء نبي الله صالح (عليه السلام) إلى قومه برسالة من الله، يرشدهم فيها إلى عبادة الله واتخاذ الطريق الحق، ونبذ عبادة الأصنام، وهذا شأن كل رسالة سماوية، فعندما تنحرف المجتمعات عن الطريق القويم وتتغير الموازين يبعث الله رسولاً ليبدد ما طرأ على البشرية من الانحراف في مجال العقيدة التي اختارها الله لعباده[24].قال تعالى:﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ * قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ * فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ * فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ [25]. هذا هو القرآن الكريم، يستعرض جزءاً من قصة صالح (عليه السلام) مع قومه وقد جرت محاورات بين نبي الله صالح (عليه السلام) وقومه، أملاها عليه حرصه الشديد على هداتهم، ورغبة في إنقاذهم مما هم متورطون فيه، وهي من غير شك محاورات وخطابات بسيطة، كانت تعتمد على المنطق السليم، وتقصد الغاية الكريمة، ولكن لم تأت بالثمرة المرجوة إلا مع القليل الذين أراد الله لهم الخير والرحمة، أما الغالبية فقد عميت أبصارهم عن الحق، ولم يستبينوا طريق الرشاد، وهم بدورهم أخذوا يتخبطون بين مزالق المنطق السقيم والحجة الداحضة، يقودهم فساد العقيدة ولؤم الطبع إلى الدرك الأسفل ينحدرون في تفكيرهم إلى الوهم والهذيان[26]. لقد سجل القرآن الكريم باستفاضة هذه المحادثة، في كثير من سوره، وبين ماذا قال القوم لرسولهم صالح(عليه السلام) حين دعاهم إلى الهدى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [27].

ويأتي رده في القرآن على لسان نبي الله صالح (عليه السلام):﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ﴾ [28].

ورغم تنوع كل أساليب الترغيب والترهيب التي استخدمها نبي الله صالح(عليه السلام) لإقناع قومه، إلا أنهم أبوا وقالوا له:﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴾ [29]، واتهموه بالجنون والسحر لأنه أمرهم بعبادة الله. إن مثل هذه الإجابة، لا تمت إلى الواقع بشيء، وإنما تكشف عن سوء فهم القوم لنبيهم وبما جاءهم به، وأسلوبهم هذا هو أسلوب الضعفاء، والذي كثيراً ما يلجئون إليه عندما تعوزهم الحجة وينقصهم الدليل[30]. إلا أن نبي الله صالحاً (عليه السلام) لم يستسلم للأمر الواقع ويذعن لهم، بل واصل معهم حتى النهاية المحتومة عليهم، وقد صدق الله وعده مع نبيه صالح (عليه السلام) ومن آمن معه، فأنجهم من الهلاك، أما الظالمون فقد أخذتهم الصيحة، بقوله تعالى: ﴿ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴾ [31].

وهكذا حملت قصة نبي الله صالح (عليه السلام) في ثناياها العبرة والعظة البالغتين فهي تمثل قصة قرية آمنة مطمئنة، يأتيها رزقها رغداً، فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله الويل والهلاك وجعلها عبرة لمن يعتبر، هذه صورة من والحوار غير المتكافئ، والتعصب للرأي بقصد المعارضة لذاتها.

المبحث الرابع: خطاب النبي ابراهيم (عليه السلام) مع قومه في القران الكريم .

إن المتتبع لسيرة إبراهيم (عليه السلام) ليجد أن هذا النبي قدم في سيرته مع قومه نموذجاً من نماذج الإيمان، الذي صارع النفس والعاطفة الذاتية والإنسانية في سبيل العقيدة، ونشر الإيمان، وتكاد سيرته تنفرد بين سيرة إخوانه الأنبياء بالامتحان النفسي والذاتي، الذي خرج فيه الإيمان منتصراً في قصة الفداء التي تصورها حياة إبراهيم أروع تصوير، وفي قصة مواجهة الأب، الذي لم يتردد أن يعنفه لاتخاذ الأصنام آلهة، إن إيمان إبراهيم (عليه السلام) جعله في مقدمة الذين وضعهم القرآن الكريم في منزلة سامية، من حيث قربهم إلى الله[32]. إن إبراهيم الذي قدم جسده للنار، وابنه للفداء، وتصدى لهيمنة الملك المتكبر، ولغطرسة قومه، إنه حقاً ليعتبر إمام الأنبياء، وللبشرية المسلمة أن تفخر بأن تنسب نفسها إلى ملة إبراهيم: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [33].

واصطفى الله سبحانه وتعالى إبراهيم خليلا: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾[34]، نعم اصطفاه الله لمحبته وخلته، فانه انتهى إلى درجة الخلة التي هي ارفع مقامات المحبة، وما ذاك إلا لكثرة طاعته لربه[35].لقد سجل القرآن أروع البطولات لهذا النبي، ولعل اتخاذ الله إبراهيم (عليه السلام) خليلاً، لخير دليل على ما ذهبنا إليه من نتيجة. أن دين نبي الله إبراهيم (عليه السلام) أساس لدين الإسلام الذي جاء القرآن الكريم ليضع أسسه، وأن ملة إبراهيم (عليه السلام) هي الأساس، حتى ادعى اليهود والنصارى أنهم أتباع ملة إبراهيم (عليه السلام). لقد نهج إبراهيم (عليه السلام) نهجاً خاصاً في الدعوة إلى عبادة الله، ونبذ مظاهر الشرك، وقلبه مفعم بالإيمان العميق بالله الواحد، الله سبحانه الذي نصر إبراهيم لتوحيده وعبادته، وذلك بتحطيم الأصنام التي يعبدونها من دون الله، لذا جاء إبراهيم واثقا بان الله سبحانه سينتصر له بقوله تعالى:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا ﴾ [36]. يرغب الله سبحانه وتعالى في إتباع إبراهيم (عليه السلام)، لأنه كان على الدين القويم والصراط المستقيم، وقد قام بجميع ما أمره به ربه، ومدحه تعالى بذلك فقال:

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [37]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [38].

لقد كان إبراهيم (عليه السلام) يحاور عبده الأوثان ومستلهمي النجوم، لينقلهم إلى العقيدة الصحيحة، فهناك عقيدة تؤله الكواكب، وأخرى تؤله القمر وثالثة تؤله الشمس[39].

فماذا كان موقفه تجاهها ؟ وما هو الأسلوب الذي اتبعه في إقناع الناس مع نفسه، فقال تعالى بمحكم كتابه: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [40].

وقد سلك مسلكاً في الحجة جعله طريقاً لبيان استحالة ربوبية تلك الكواكب التي ليست أوضح بطلاناً من استحالة ربوبية الأصنام، فحاول أن يجعل قومه وجهاً لوجه مع الحقيقة التي توضح لهم فساد عقيدتهم، كل ذلك في أسلوب مفاجئ يرجعهم إلى فطرتهم دون سابق إنذار، ويدفعهم دفعاً إلى الاعتراف بالحقيقة التي يقصدها.[41] وساق القرآن الكريم المحاورة التي دارت بينه وبين قومه حول الأصنام التي يعبدونها، وحديثه إليهم في طبيعة هذه العبادة، ومدى ما فيها من ضلال وبطلان وما أعقب تلك المحاورة من قيامه بتكسير الأصنام كلها، إلا الصنم الكبير الذي استبقاه ليجعله منطلق حجته: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ * قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ * وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ * قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ * فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[42]

. فجعلهم وجهاً لوجه أمام الحقيقة التي تنطق بانحرافهم، بل بظلمهم وتعلن لهم خزي موقفهم مع هذه الآلهة، التي لا تقدر على النطق، إنه الأسلوب الذي يرجع الإنسان إلى فطرته، ويجعله ينطق بالحجة على نفسه دون شعور أو التفات[43].ومن خلال تتبع مجرى الخطاب والحوار الذي دار بين إبراهيم

(عليه السلام) وقومه، نقف قليلاً، لنرى كيف يسير مع قومه خطوة خطوة، ولنرى أصول الجدل القرآني في مواجهة الخصوم من المشككين[44]، وإبراهيم (عليه السلام) إذ قال لقومه:

﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ * إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ * وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [45]، لقد دعاهم دعوة بسيطة، لا تعقيد فيها، ولا غموض، مرتبة في عرضها ترتيباً دقيقاً. ومن خلال تتبع مواقف إبراهيم (عليه السلام) مع قومه، يلاحظ أنه كان حليماً رقيق القلب رؤوفاً باراً بوالده مع قسوته عليه:

﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا * يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا * قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴾ [46].

لما أراد النبي إبراهيم (عليه السلام) أن ينصح أباه ويعظه، وينقذه مما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم الذي عصا به أمر العقل، رتب معه الكلام في أحسن نظام، مع استعمال المجاملة واللطف والأدب الحميد والخلق الحسن مستنصحاً في ذلك بنصيحة ربه. " كما أعطى القرآن الكريم صورة رائعة عن مناظرة الخليل إبراهيم (عليه السلام) مع الملك الجبار، الذي ادعى لنفسه الربوبية، فأبطل الخليل دليله، وبين له جهله وخفة عقله، وألزمه الحجة "[47]، ساق القرآن الكريم تلك المناظرة في قوله:

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[48]. لقد أعطت الآية الكريمة صورة رائعة عن جدل عقلي بين النبي إبراهيم (عليه السلام) والنمرود (الملك المتجبر) الذي ادعى الربوبية، فأبطل القرآن الكريم دعواه بالسؤال الموجه إليه، إن الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب، لقد بينت الآية كذبه فيما ادعاه، وبطلان ما سلكه وتبجح به عند مواجهة قومه، ولم يعد له كلام يجيب به الخليل، بل انقطع وسكت[49]، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [50]. هكذا تحدى إبراهيم(عليه السلام) هيمنة وجبروت الملك في وقته، وهي السلطة الباغية فكان نموذج المؤمن الواثق من إيمانه، الذي واجه معركة خطيرة مع نفسه ومع والده ومع الملك المتجبر ملك زمانه، ولم يأبه بالسفهاء حين حطم أصنامهم ومعبود اتهم، وحين أوقدوا النيران وقدموها إليها لم يهن ولم يجزع، فسلام على إبراهيم حقاً وصدقاً.

لقد قص القرآن على أمة الإسلام المثل العليا للخطاب، وأوضح أصوله التي يلزم أن تتبعها أمة الإسلام، ولتأخذ من أبي الأنبياء إبراهيم (عليه السلام) منهجها في محاورة الخصوم، فحري بمن أراد أن يتعلم آداب المحاورة وطرقها الفنية، أن يقرأ القرآن الكريم ويتدبره، ويديم النظر فيه لأن فيه عضه

وحكمه وتدبر. إننا نلمس من دعوات هؤلاء الرسل والأنبياء (عليهم السلام) وغيرهم ممن تعرض القرآن الكريم لذكرهم في أكثر من موضع ، موقف الرسول الذي يسمو على الاضطهاد، ويرتفع على الظلم، فلا يثور ولا يغضب عندما تفاجئه الشتائم، أو تلاحقه التهم، بل يتحدى ذلك بهدوء الرسالة، بخطوات متزنة ثابتة، ولا تنحرف ولا تزيغ وإنما تنطلق لتوجه ولتنصح، إخلاصاً لصفة الرسالة وانسجاماً مع روح التبليغ. ولقد رسم القرآن الكريم صورة واضحة المعالم لمنهج الرسل جميعاً (عليهم السلام)، ومنهج كل الدعاة إلى الحق، في كل زمان ومكان، فأتى بصورة هذا المنهج على لسان كل نبي، في عبارات لها وضوح العقيدة، وفصاحة الحق وصفاء الروح، إن رحلة الرسل (عليهم السلام) قد تتابعت حلقاتها المضيئة في حياة كل المجتمعات البشرية ولم نذكر من موكب الرسالات سوى بعض هذه الحلقات، لأن الرسالات الإلهية ودعوة الرسل (عليهم السلام) واحدة ، دعوة إلى عبادة الله وحده ، ونبذ لعبادة غيره[51]. إن الحقيقة الأساسية لرسالات الرسل ، هو توحيد الله ، ونبذ كل صور الشرك هذا هو المحور في القضية المطروحة من قبل الوحي الإلهي على الفكر البشري عبر تاريخه الطويل، ومن خلال تتبع صور الخطاب والحوار الذي دار بين الأنبياء والمرسلين وأقوامهم، لن يجد المتتبع لتلك الصور العنف والشدة والغلظة، وإنما يجد بدلاً من ذلك اللين والتسامح والرفق أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتي هي أحسن في أكثر من موقف، وفي أكثر من آية[52].

الخاتمة

أهتم القرآن الكريم كثيراً بعرض قصص الأنبياء، وبيان دعوتهم لأممهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، ولقد لاقى الأنبياء ما لاقوه من أقوامهم، وساروا معهم حتى نهاية المطاف، فدخل من دخل في دين الله وأعرض من أعرض، فحق عليهم الوبال في الدنيا، والعقاب في الآخرة فأخذهم بذنبهم في الدنيا، وخلودهم في النار يوم القيامة: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

ولم يعرض القرآن الكريم تلك القصص لمجرد السرد والتسلية، بل لبيان ما يجب أن يكون عليه الحال من طاعة الله تعالى، امتثالاً لقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [1].

وقصص القرآن الكريم، هي أخبار عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، وقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من وقائع الماضي وتاريخ الأمم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه. يعتمد القرآن الكريم على القصص الواقعية، فيما جرت به الأحداث في دنيانا هذه، وله آثار باقية في مواقعها، وقد تحدثت بها الكتب المنزلة، ولعل أهم ما يتعلق بهذه القصص معجزات الأنبياء والرسل، وتنوعها، وتعددها، وخطورة شأنها، وما كان لها من أثر في توجيه الناس إلى الأيمان. فأردنا تسليط الضوء على جزء من خطابات الاعتدال من خلال عرض نماذج حية لصور واقعية تتمثل بدعوة الأنبياء والرسل لأقوامهم الضالين عن الحق وفق منهج الهداية الذي ارتضاه الله لخلقه، ومع هذا التيه والضلال الصادر من أقوامهم ومع التعنت وممارسة شتى أساليب القمع والوحشية في حق أنبيائهم إلا أنهم كانوا مأمورين بلين القول والحكمة والموعظة

1 سورة الإسراء، الآية: 15 ؛ المحلي والسيوطي: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، ط1، مطبعة دار الحديث، القاهرة، ج367/1 .

2 سورة غافر، الآية: 51

(4) سورة الذاريات ، الآية: 56.

[3] سورة إبراهيم، الآية: 4.
[4] الرندي: محمد بن إبراهيم بن عباء ألنفري(ت: 732هـ)، غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، تحقيق: عبد الحليم محمود، ط1، دار الكتب، مصر، د. ت، ص655 ؛ العلائي: أبو سعيد الخليل(ت: 1280هـ)، جامع التحصيل في أحكام المراسيل، تحقيق حمدي السلفي، بيروت 1986، ص 204.
[5] القاضي: عبد الجبار بن احمد(ت: 415هـ)، المحيط بالتكليف، ط1، القاهرة، 1965م ، ص 134؛ بهجت: احمد، الأنبياء والله، دار الشروق، بيروت، د.ت، ص84.
[6] بهجت: المصدر نفسه، ص86.
[7] سورة هود، الآيات: 25-31.
[8] سورة الأعراف، الآية: 59.
[9] البيهقي: أحمد بن الحسين (ت: 458هـ)، شعب الأيمان، بيروت، 1410هـ ، ص248.
[10] سورة هود، الآية: 28.
[11] سورة الشعراء، الآيات: 105-122.
[12] سورة هود، الآية: 28.
[13] سورة هود، الآية: 29.
[14] سورة هود، الآية: 30.
[15] سورة الشعراء، الآيات: 117-119.
[16] الزرقاني: محمد بن عبد الباقي (ت:1122هـ)، مناهل العرفان في علوم القران، مطبعة ألبابي الحلبي، مصر، 1967م، ص132.
[17] سورة هود، الآية: 37.
[18] سورة الإسراء، الآية: 81.
[19] سورة هود، الآية: 50.
[20] سورة هود، الآية: 53-54.
[21] اليماني: محمد بن محمد(ت:585هـ)، الفرق والتواريخ، مكتبة الإمام الرضا، خراسان، 1358هـ، ص 96 ؛ بهجت: الأنبياء والله، ص 101.
[22] خلف الله: محمد احمد، مفاهيم قرآنية، مطبعة الرسالة، الكويت، ص165.
[23] بهجت : الأنبياء والله ، ص 103.
[24] المحاسبي: الحارث بن أسد (ت: 243هـ)، العقل وفهم القرآن، تحقيق حسين التو تلي، مطبعة دار الفكر، سوريا، ط1، 1971م، ص 823 ؛ السيوطي: عبد الرحمن جلال الدين (ت: 911هـ)، الدر المنثور في التفسير المأثور، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، 1971، ص 218.
[25] سورة الأعراف، الآيات: 73 - 79.
[26] الزرقاني: مناهل القرآن، ص 192.
[27] سورة هود، الآية: 62.
[28] سورة هود، الآية: 63.
[29] سورة الشعراء، الآية: 185
[30] البغوي :أبو محمد حسين (ت: 516هـ)، معالم التنزيل، مطبعة التقدم المصرية، 1349هـ ، ص 138.
[31] سورة هود، الآية: 67.
[32] ينظر الغزالي: محمد بن محمد (ت: 505هـ)، جواهر القرآن، تحقيق: عادل نويهض، مطبعة دار الفكر، بيروت، د. ت، ص503 ؛ ابن كثير: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت:774هـ)، قصص الأنبياء، ط4، مكتبة النهضة، بغداد، 1988م، ص128-141.
[33] سورة النحل، الآية: 120.
[34] سورة النساء، الآية: 125.
[35] الكبيسي: أحمد ، قصص القران الكريم ، ط4 ،وزارة الثقافة ، بغداد ، 2005م، ص76-94.

[36] سورة غافر، الآية: 51.
[37] سورة النجم، الآية: 37.
[38] سورة النحل، الآيات: 120-123.
[39] بهجت: الأنبياء والله، ص 85 – 86.
[40] سورة الانعام، الآيات 76- 80.
[41] الوصيف: عبد الله، دراسات قرآنية، مركز البحوث للطباعة والنشر، تونس، 1979م، ص 29.
[42] سورة الأنبياء، الآيات: 52-64.
[43] الغنيمي: أبو الوفاء، الإنسان والكون في الإسلام، القاهرة، د. ت، ص 52.
[44] بركة: عبد الغني محمد سعد، أسلوب الدعوة في القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، 1983، ص357.
[45] سورة العنكبوت، الآيات: 16-18.
[46] سورة مريم، الآيات: 42-47.
[47] بركة: أسلوب الدعوة في القران، ص359.
[48] سورة البقرة، الآية: 258.
[49] ابن الجوزي: صيد الخاطر، تحقيق: ناجي الطنطاوي، ط1، الدار الوطنية، دمشق،1380هـ، ص412؛ جاد المولى: محمد، قصص القرآن، المكتبة الكبرى، مصر، د. ت، ص 48.
[50] سورة البقرة، الآية: 258.
[51] بداري: أبو العلاء علي حسن، الرائد إلى سليم العقائد، مطبعة دار الكتاب العربي، مصر، 1956م، ص68.
[52] بداري ، الرائد إلى سليم العقائد، ص69.

قائمة المصادر والمراجع

اولاً ـ القران الكريم

ثانياً ـ المصادر

📖 **البغوي :أبو محمد حسين (ت: 516هـ).**

1- معالم التنزيل، مطبعة التقدم المصرية، 1349هـ.

📖**البيهقي: أحمد بن الحسين (ت: 458هـ).**

2- شعب الأيمان، بيروت، 1410هـ.

📖 **ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت:597هـ).**

3- صيد الخاطر، تحقيق: ناجي الطنطاوي، ط1، الدار الوطنية، دمشق،1380هـ.

📖 **الرندي : محمد بن إبراهيم بن عباء ألنفري(ت: 732هـ).**

4- غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، تحقيق: عبد الحليم محمود، ط1، دار الكتب، مصر، د. ت.

📖 **الزر قاني: محمد بن عبد الباقي (ت:1122هـ).**

5 - مناهل العرفان في علوم القران، مطبعة ألبابي الحلبي، مصر، 1967م.

📖 **السيوطي: عبد الرحمن جلال الدين (ت: 911هـ).**

6- الدر المنثور في التفسير المأثور، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، 1971م.

📖 **العلائي: أبو سعيد الخليل(ت: 1280هـ).**

7- جامع التحصيل في أحكام المراسيل، تحقيق حمدي السلفي، بيروت 1986.

الغزالي: محمد بن محمد (ت: 505هـ).
8- جواهر القرآن، تحقيق: عادل نويهض، مطبعة دار الفكر، بيروت، د. ت.
القاضي: عبد الجبار بن احمد(ت: 415هـ).
9- المحيط بالتكليف، ط1، القاهرة، 1965م.
ابن كثير: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت:774هـ).
10- قصص الأنبياء، ط4، مكتبة النهضة، بغداد، 1988م.
المحاسبي: الحارث بن أسد (ت: 243هـ).
11- العقل وفهم القرآن، تحقيق حسين التو تلي، مطبعة دار الفكر، سوريا، ط1، 1971م.
المحلي والسيوطي: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي(ت:864هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت:911هـ).
12- تفسير الجلالين، ط1، مطبعة دار الحديث، القاهرة.
اليماني: محمد بن محمد(ت:585هـ).
13- الفرق والتواريخ، مكتبة الإمام الرضا، خراسان، 1358هـ.

ثالثاً- المراجع

بداري: أبو العلاء علي حسن.
14- الرائد إلى سليم العقائد، مطبعة دار الكتاب العربي، مصر، 1956م.
بركة: عبد الغني محمد سعد.
15- أسلوب الدعوة في القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، 1983.
بهجت: احمد.
16- الأنبياء والله، دار الشروق، بيروت، د.ت.
خلف الله: محمد احمد.
17- مفاهيم قرآنية، مطبعة الرسالة، الكويت.
الغنيمي: أبو الوفاء.
18- الإنسان والكون في الإسلام، القاهرة، د. ت.
الكبيسي: أحمد .
19- قصص القران الكريم ، ط4 ،وزارة الثقافة ، بغداد ، 2005م.
الوصيف:عبد الله.
20- دراسات قرآنية، مركز البحوث للطباعة والنشر، تونس، 1979م.

List of sources and references

First - the Holy Quran

Secondly, the sources

Al-Baghawi: Abu Muhammad Hussein (d.: 516AH)

-1 Milestones of Download, The Egyptian Progressive Press, 1349AH.

 Al-Bayhaqi: Ahmed bin Al-Hussein (d.: 458AH)

2People of Faith, Beirut, 1410AH.

 Ibn al-Jawzi: Abd al-Rahman bin Ali bin Muhammad (T.: 597AH)

-3 Sayd al-Khater, investigation: Naji al-Tantawi, 1st edition, National House, Damascus, 1380AH.

 Al-Randi: Muhammad bin Ibrahim bin Abaa Al-Anfri (T.: 732AH)

4 Ghaith al-Mawahib al-'Aliyyah fi Sharh al-Hukam al-Ata'iyah, investigation: Abdel Halim Mahmoud, 1st edition, Dar al-Kutub, Egypt, d. T.

 Al-Zar Qani: Muhammad bin Abdul-Baqi (d.: 1122AH)

-5 The fountains of gratitude in the sciences of the Qur'an, Al-Babi Al-Halabi Press, Egypt, 1967AD.

 Al-Suyuti: Abd al-Rahman Jalal al-Din (d.: 911AH)

-6Al-Durr Al-Manthoor fi Al-Tafsir Al-Mathur, Beirut House for Printing and Publishing, Lebanon, 1971AD.

 Al-Ala'i: Abu Saeed Al-Khalil (d.: 1280AH)

7 Collector of Attainment in Ahkam Al-Marasil, investigation by Hamdi Al-Salafi, Beirut .1986

 Al-Ghazali: Muhammad bin Muhammad (T.: 505AH)

-8 The Jewels of the Qur'an, investigation: Adel Noueihed, Dar Al-Fikr Press, Beirut, d. T.

 Judge: Abdul Jabbar bin Ahmed (T.: 415AH)

-9 Al-Muheet Al-Takleef, 1st edition, Cairo, 1965AD.

 Ibn Katheer: Abi Al-Fida Ismail bin Omar bin Katheer Al-Dimashqi (T.: 774AH)

10 Stories of the Prophets, 4th edition, Al-Nahda Library, Baghdad, 1988 AD.

 Accountant: Al-Harith bin Asad (T.: 243AH)

-11The Mind and Understanding of the Qur'an, investigated by Hussein Al-Tawli, Dar Al-Fikr Press, Syria, 1st edition, 1971AD.

Al-Mahalli and Al-Suyuti: Jalal al-Din Muhammad bin Ahmad al-Mahalli (d.: 864AH), and Jalal al-Din Abd al-Rahman bin Abi Bakr al-Suyuti (d.: 911AH)

-12 Tafsir Al-Jalalayn, 1st Edition, Dar Al-Hadith Press, Cairo.

Al-Yamani: Muhammad bin Muhammad (T.: 585AH)

13 Differences and dates, Imam Reza Library, Khorasan, 1358AH.

Third, references

Badari: Abu Al-Alaa Ali Hassan.

14 Al-Raed to Salim Al-Aqaed, Dar Al-Kitab Al-Arabi Press, Egypt, 1956 AD.

Baraka: Abdul Ghani Muhammad Saad.

-15The method of calling in the Qur'an, Wahba Bookshop, Cairo, .1983

Bahgat: Ahmed.

-16The Prophets and God, Dar Al-Shorouk, Beirut, Dr. T.

Khalaf Allah: Muhammad Ahmad.

-17 Quranic Concepts, Al-Resalah Press, Kuwait.

Al-Ghunaimi: Abu Al-Wafa.

-18 Man and the Universe in Islam, Cairo, d. T.

Al-Kubaisi: Ahmed.

-19Stories of the Noble Qur'an, 4th Edition, Ministry of Culture, Baghdad, 2005AD.

Runner-up: Abdullah.

-20Quranic Studies, Research Center for Printing and Publishing, Tunis, 1979AD.